**المحاضرة الرابعة**

**(نظرية الجشطلت)**

**مقدمة :**  
  
**في العقد الثاني من القرن العشرين** ظهرت بوادر النظرية الجشطالتية،وقد بدأت بوادر هذه المدرسة في البحوث التي أجراها فرتهيمر في الحركة سنة 1912م، حيث تبنى له أن أشياء تتحرك ولكنها بالأصل والواقع لا تتحرك، مثل الشريط السينمائي \_صورة لكنها تتحرك، وقد عمل فرتهيمر مع كوفكا وكوهلر، بتوضيح جوانب هذا المنهج.  
  
**وفي العقد الثالث من القرن العشرين** بدأت تظهر المقالات المنهجية المنتظرة، وبدأ علماء النفس يبشرون بأهمية هذا التيار الجديد، الذي كان عقله الملهم فرتهيمر وبتجريب واستلهم به كوفكا وليفين وكوهلر .  
**إن السيكولوجية الجشطالتية تعتبر** ثورة على الثنائية الديكارتية التي ظهرت في القرن السابع عشر والتي قسمت العقل إلى جزيئات أولية من الأحاسيس والصور، **كما أنها تعتبر تمرداً** على الفرويدية أو علم النفس التحليلي الذي أغرق في البحث عن العناصر والجزيئات والقوانين وارتباطها وتركيبها.  
لقد قاد فرتهيمر وكوفكا وكوهلر بصفتهم أقطاب هذه المدرسة تمرداً على ذلك الضرب من التحليل العقلي الذي كان يقوم به آنذاك فونت وتلامذته، وكانت حركتهم تمثل نوعاً جديداً من التحليل للخبرة الشعورية انطلاقاً من المجال الإدراكي .  
  
**والجشطالت كلمة** ذات أصل ألماني وليس لها مرادف في جميع اللغات الأخرى، **وهي تعني** نمطـًا أو صيغة أو شكلاً**.**وقد ظهرت المدرسة الجشطالتية كرد فعل للمدرسة الترابطية والمعرفية، **وقد أسس هذا الاتجاه الإرشادي** فردريك بيرلز، وقد بدأ حياته المهنية بممارسة التحليل النفسي التقليدي ثم تبنى بعد ذلك وجهة نظر مغايرة للمفاهيم التقليدية.  
  
**التعريف بأبرز مؤسسي النظرية الجشطالتية:**  
  
**ماكس فريتمر :**

ولد بمدينة براجو بألمانيا وانتهى من دراسة الجيمنزيم وهو في الثامنة عشرة من عمره ثم درس القانون واتجه بعده فجأة إلي دراسة الفلسفة مع علم النفس في جامعة برلين وإن حصل على درجته العلمية الجامعية من جامعة فرزبورج 1904كذلك درجة الأستاذية من جامعة فرانكفورت 1929 وخلال الحرب العالمية الأولى أسهم فرتيمر فيها من خلال أبحاثه التي تخص عمل التصنت علي الغواصات البحرية . كان فرتيمر من أوائل الذين هاجروا إلى أمريكا فوصل نيويورك عام1913 وقضي بها بقية حياته إلى أن وافته المنية بها وكانت سنوات إقامته بها حافلة بالمناشط والأبحاث التربوية وإن كانت أقل الإنتاج عددا بين مؤسسي حركة الجشطلت كما أجمع المؤرخون .

**كيرت كوفكا :**

تلقى تعليمه حيث ولد بألمانيا،ودرس العلوم والفلسفة في شبابه في جامعة أدنبرة (1903ـ 1904) وبعد عودته إلى برلين درس علم النفس وحصل على درجته العلمية عام 1909 تحت إشراف كارل ستمف ، وبدأ مشوار العمل مع فرتيمر وكهلر وفي عام 1911 عمل بجامعة جيشن التي تبعد عن فرانكفورت بأربعين كيلومتر حتى عام 1924وعمل خلالها بوحدة للطب النفسي اهتم فيها بمعالجة أمراض الكلام وحالات الانهيار العصبي ، وبعد أن انتهت الحرب العالمية الأولى أصبح علم النفس الأمريكي على دراية بحركة الجشطلت ومن ثم طلب من كوفكا أن يكتب عن الجشطلت فخط كتابه (الإدراك ـ مقدمة لنظرية الجشطلت) قدم فيه المفاهيم

الأساسية للجشطلت وعلي الرغم من أهمية هذا الكتاب إلا أنه عرقل من انتشار الجشطلت في أمريكا إذ أوحى عنوان الكتاب باقتصار الجشطلت في دراستها علي موضوع الإدراك ، وفي عام 1921نشر كوفكا كتابه (نمو العقل) وهو كتاب في علم نفس الطفل ولاقى نجاحا كبيرا في ألمانيا وأمريكا ثم عمل كوفكا أستاذا زائرا بجامعةكورنل وسميث عام 1927 ، وفي عام 1933 قام بدراسات على شعوب وسط آسيا ثم توفر بعد ذلك على تأليف كتابه (مبادئ علم نفس الجشطلت

**كوهلر :**

ولد بمنطقة البلطيق وانتقلت أسرته إلى شمال ألمانيا وتلقي كهلر تعليمه في جامعات توبنجن وبون وبرلين وحصل على إجازته العلمية من جامعة برلي تحت إشراف كارل ستمف ، وفي عام 1913 دعته الأكاديمية الروسية إلى تنريف إحدى جزر الكناري لعمل دراسة على الشمبانزي ثم حالت الحرب العالمية الأولى دون مغادرته تنريف بعد إقامته بها ستة أشهر وأنجز عمله الرائع هناك (عقلية القردة) ثم عاد كهلر إلى ألمانيا عام 1920 وخلف مكان كارل ستمف في جامعة برلين وحاضر في جامعة كلارك وهارفورد ،ترك كهلرألمانيا عام1935 بسبب صراعه المستمر مع النازي وعلى الرغم من أن كهلر لم يكن يهوديا إلا أنه طرد ضمن حركات طرد اليهود ولقد منح كهلر جائزة الإنتاج التميز من جمعية علم النفس الأمريكية وكانت كتابات كهلر من المظهر الممتاز لحركة الجشطلت ، وكان كهلر من مشجعي تطبيق الفيزياء في المجالات الأساسية لعلم النفس .

. **وسوف نتعرض هنا لنوعين من التجارب يتحدث عنهما كوهلر وهما:**

1. تجارب مشكلات الصندوق.
2. تجارب مشكلات العصي.

**أولا:تجارب مشكلات الصندوق.**

اعد كوهلر قفصا علق بسقفه موزا ووضع فيه صندوقا بحيث أن القرد الجائع متى وضع في القفص لا يستطيع أن يصل إلي الهدف ما لم يصعد فوق الصندوق ويقفز.

وكانت المشكلة صعبة بالنسبة للشمبانزي ,واستطاع قرد واحد التوصل إلى الحل دون مساعده, وقد تعلمت ستة قرود أخري حل المشكلة مع بعض المساعدة لها بوضع الصندوق أسفل الموز,أو بإتاحة الفرصة لها لتراقب قرد أخر أثناء استخدامه للصندوق كوسيلة للوصول إلى الموز .

وبعد حدوث التعلم كان القرد يترك ضالته أو هدفه ليتجه إلى الصندوق وليضعه في المكان المناسب للوصول إلى الموز وهذه الدورة صفة هامه من صفات التعلم بالاستبصار.

(التجربة ص271)

**ثانيا: تجارب مشكلات العصي:**

اقتضت هذه المشكلات استخدام عصا أو أكثر لجذب الطعام الذي كان يوضع خارج القفص,ولوحظ أن الاستبصار يبدأ باستخدام العصا,ولو انه كثيرا ما يكون الاستخدام خاطئا,كما يحدث حين يقذف القرد بالعصا اتجاه الموز ويفقدها.

**وقد لوحظ** انه متى استخدم الشمبانزي العصا بنجاح كان يلجا على الفور إلى ما تعلم,ويستخدم العصا .

(التجربة الثانية ص272)

**خلاصة تجارب كوهلر :**  
  
1- أن الوصول إلى الحل يأتي فجأة نتيجة ما يسمى بالاستبصار .  
2- أن الاستبصار يعتمد على إدراك وتنظيم أجزاء الموقف .  
3- متى ما توصل الحيوان إلى الحل عن طريق الاستبصار فإنه يمكنه أن يكرره بسهولة .  
4- أن الحل الذي يصل إليه الحيوان عن طريق الاستبصار يمكن أن يطبق في المواقف الجديدة.

**قوانين التنظيم:**

لقد بدأ علم نفس الجشطلت بدراسة الإدراك الحسي.

**وكانت نقطة البداية في معالجة كوفكا للتعلم افتراضه** أن قوانين التنظيم في الإدراك تنطبق على التعلم,**ومما ساعد على هذا الانطباق** اهتمامه بالتكيف الأولي,وباكتشاف الاستجابة الصحيحة,**ذلك أن هذا الاكتشاف** يتوقف على تكوين المجال وتنظيمه .

**وتتوقف سهولة المشكلة أو صعوبتها إلى حد كبير** على إدراك العلاقة بين العناصر الهامة في الموقف .

**اى أن** الكل اكبر من مجموع الأجزاء, وان إدراك الكل سابق على إدراك الأجزاء المكونة له, وذلك بفضل العلاقات الديناميكية التي توجد بين الأجزاء وبعضها في هذا الكل .

**مثلا:** إذا رأينا صورة جميلة ندركها كوحدة ذات معنى ونعجب بها ككل ولا ندرك اللون وحده ثم الشكل ثم الحجم ..الخ,ثم نجمع بين كل هذا فيما يسمي صورة .

**حيث أن المبدأ العام الذي يقرره علماء هذه المدرسة هو** : أن الإدراك هو الوسيلة الأولي لاتصال الكائن الحي بالبيئة الخارجية,وإذا انعدمت هذه الوسيلة لانتفت كل الظواهر النفسية,**لان الظاهرة النفسية مهما كانت صورتها,ماهية** إلا نتيجة تفاعل الكائن الحي وبيئته الخارجية.

**وإدراك الموقف عند الجشطلت يسير وفق قوانين التالية:**

1. **قانون التنظيم والتوضيح.**

إن قانون التنظيم يبين لنا أو يقترح علينا اتجاه الأحداث ,فالتنظيم النفسي يتجه إلى تكوين صيغة إجمالية جيدة أو جشطلت جيد.

وهذه الصيغة الإجمالية الجيدة لها صفات كالانتظام, والبساطة والثبات .

**مثلا:** موقف الطالب في لجنة الامتحان,هذا الموقف يتكون من عدة عناصر وعلاقات لا أهمية تذكر لكل منها على حده ولكنها جميعا تكون هذا الموقف الرهيب,فهناك مثلا رهبة القاعة واتساعها وعدد مراقبي اللجنة, ودرجة حرارة الجو ,ثم حالة الطالب النفسية وما هو عليه من صحة أو مرض أو تعب أو خوف ...الخ, ثم أسئلة الامتحان ونوعها, ودرجة الاستعداد للإجابة عنها ودرجة صعوبتها, في هذا الموقف المشكل ذي القوي والضغوط النفسية المتعددة تتوقف إجابة الطالب ونجاحه على إعادة تنظيم مختلف للعلاقات المتفاعلة في الموقف وما ينتج عن هذا التنظيم من أن تحتل بعض العلاقات مقدمة انتباهه فيتضح معناها ويتصرف بمقتضي هذا الإدراك.

في هذا الموقف يتطلب النجاح أن تحتل العلاقات الخاصة بالأسئلة والإجابة عنها مقدمة الشعور بينما تبقي العلاقات الخاصة بحالة الطالب الصحية مثلا وحالته النفسية ودرجة الجو ...الخ في المؤخرة, وإلا اختلط علية الأمر ,فليس من شك في أن الطالب لن يجيب إجابة سليمة إذا ضل طول الوقت مرتبكا خائفا...الخ.

1. **قانون التشابه.**

يعتبر قانون التشابه مماثلا لقانون الترابط عند الشرطيين ,ولقد استخدم كمبدأ يحدد تكوين الإدراك,إذ تميل الأشياء المتشابهة إلى أن تتجمع في وحدة إدراكية متكاملة.

**مثلا**:تظهر الخطوط المتشابهة أو النقط المتماثلة على أنها وحدة إدراكية.

**وحين نطبق هذا القانون على التعلم** فهمنا منه أن المعلومات المتشابهة والخبرات المتشابهة على اختلاف أنواعها سواء كانت خبرات معرفية أو خاصة باكتساب مهارة من نوع ما تميل إلى التجمع لتكوين وحدات معرفية أو مهارة متكاملة ,يزيد فيها اتضاح المعني.

1. **قانون التقارب.**

يساعد تقارب الأشياء على إدراكها كمجموعه أو مجموعات .

**مثلا** :فإذا رسمت عددا من الخطوط المتوازية غير منتظمة في بعدها الواحد عن الأخر على ورقة بيضاء,فان الخطوط المتقاربة تميل إلى تكوين وحدات على أرضية الصفحة البيضاء.

|| || || || || ||

فالناظر إلى هذه الخطوط المتقاربة يري أزواجا بدلا من رؤية أزواج الخطوط المتباعدة,وذلك نتيجة لتقاربها الواحد من الأخر.

**وإذا ما طبقنا هذا القانون على عملية التعلم** نجد انه يساعد على التذكر, فتقارب الأشياء المكاني يساعد على تذكرها,كما أن التقارب الزماني وحداثة الحوادث بالنسبة للفرد تساعد على التذكر كذلك.

1. **قانون الإغلاق.**

الإشكال الكاملة أو المغلقة أكثر ثباتا من الأشكال الناقصة أو المفتوحة, وذلك لان الأخيرة تميل إلى أن تكمل نفسها ,حتى يسهل لها أن تكون صيغة كلية في الإدراك الحسي.

وتدرك المواقف المشكلة على أنها كل ناقص يثير توترا يدفع الكائن الحي إلى إكمال النقص ,ويساعد هذا التوتر على التعلم ويحفز إلية, تعلما هدفه الإغلاق الذي يجلب معه إشباعا ورضا وهكذا يبدو الإغلاق بديلا لقانون الأثر عند ثور نديك.

**مثلا:** إذا رأينا شكلا دائريا ناقصا أو مفتوحا فإننا ندركه على انه دائرة وليس خطا منحنيا, وإذا سمعنا نغمة موسيقية ناقصة اتجهنا إلى إتمام النغمة في ذهننا, وإذا استمعنا إلى محاضرة لم نفهمها عملنا على إعادة تنظيم ما فهمناه(مهما كان قليلا)وأضفنا إلية إضافات أو حذفنا بعض الأجزاء الغير واضحة حتى نخرج منها بفكرة عامة نفهمها ونرضي عنها مهما كانت بسيطة بالنسبة لما قيل بالفعل في المحاضرة .

**حيث يعتبر الجشطلت ان التعلم هو** عبارة عن تكوين أثار,اى أن الكائن الحي حينما يوجد في موقف ايجابي,فان عناصر هذا الموقف تتفاعل مع عناصر الخبرة الماضية لدي الكائن الحي, اى أن عناصر الخبرة الماضية تتفاعل مع عناصر المجال الحالي,وتنتج أثرا جديدا,هذا الأثر هو الذي يحدد استجابة الكائن الحي في المواقف القادمة.

1. **قانون الاستمرار الجيد.**

ويشير إلى أن تنظيم مجال الإدراك الحسي يميل إلى أن يحدث على نحو يستمر فيه الخط المستقيم مستقيما والدائرة دائرة وهكذا, على الرغم من أن هذه المدركات يمكن أن تتخذ أشكالا مختلفة.

**وينطبق هذا القانون على** التعلم والتذكر, فالحوادث ذات الصفة الانفعالية السارة تبقي كذلك حين يتذكرها الفرد حتى بعد مضي وقت طويل على حدوثها, وكذلك تحتفظ الحوادث ذات الصبغة المحزنة أو الغير سارة بهذه الصفة وقت تذكرها.

**التفكير المنتج:**

**ومن التطبيقات التربوية الهامة لنظرية الجشطلت** التفكير المنتج أو حل المشكلات, والحفظ الصم طريقة غير فعاله, ويندر استخدامها للتعلم في الحياة الواقعية.

**ويتعلم الناس معظم الأشياء عن طريق** الفهم, اى فهم معنى الوقائع والتوصل إلى مبدأ الذي يستند إليه أداء المهمة .

**والدليل على ذلك بحوث كاتونا (katona) عام 1940التى أكدت** على فائدة تعلم القاعدة إذا قورنت بالحفظ.

**وفي إحدى الدراسات** طلب من المفحوصين تعلم سلاسل رقمية مثل 256 1286432168,وقد تعلم بعض المفحوصين هذه السلاسل صما, بينما زود آخرون بالقاعدات تساعدهم على التعلم, مثلا أن السلسلة تتألف من عدد ومضاعفات,واستطاع الأشخاص الذين توصلوا إلى القاعدة التي تولد هذه السلاسل أن يحتفظوا بها على نحو أفضل من الذين حفظوها صما.

**الخلاصة :**

1. أن القواعد تؤدي إلى تعلم أفضل واحتفاظ بالمادة أفضل مما لو اعتمد على التذكر الآلي.
2. كما أنها تساعد على تنظيم المادة .
3. كما أنها تساعد على الاسترجاع الكلي للمادة وليس أجزاء منها.

**مشكلات خاصة في التعلم:**

**يعتبر كوفكا من ابرز من اهتم بمشكلات التعلم اهتماما بالغا وهي :**

1. تأثير الخبرات المبكرة في الفعل الحاضر.(يتم علاج هذه المشكلة بدراسة الذاكرة التي يظهر الماضي في عملها,ويبرز في الحاضر على شكل معين)
2. إعادة تنظيم المجال (كما يحدث في التعلم بالاستبصار وفي التفكير المنتج)

**دور الخبرة الماضية:**

**لما كان تعريف التعلم** يشمل ويتضمن بالضرورة تغيرا بالخبرة ومن خلالها ,فان من المهم أن نعرف رأى علماء الجشطلت في الخبرة.

يفضل أصحاب نظرية الجشطلت أن ينظر والى العمليات النفسية على أنها وظيفة للمجال الحاضر, وهم ينكرون أو يحاولون أن ينكروا دور الخبرة الماضية وأهميتها في تفسير السلوك الحاضر.

**ومثال ذلك:** التجربة التالية ,وتتلخص في انه إذا عرضت الحرف( E) على شخص ألف مرة , ثم عرضت عليه صورة نافذة (جزء منها يمثل هذا الحرف) فهل يستطيع الشخص أن يتعرف على هذا الحرف في شكل النافذة على نحو أسرع وأسهل مما يفعل لو أن حرف (E) قد عرض عليه مرة واحدة .

**فالخبرة لديهم** تلعب دورا في عملية التعلم كما تلعب دورا في عملية الإدراك,ولكن هذا الدور لا يعتبر بحال مسئولا عن تفسير هاتين العمليتين, ولذلك استبدلوا الخبرة بكلمة أخري هي ا**لألفة** Intimacy,ولا تقتصر الألفة على المعرفة المجردة بموقف معين أو شيء معين, **بل تتضمن الألفة وجود** خطة أو فكرة معرفية عن الظاهرة الموجودة في الخبرة المباشرة للفرد, بحيث يصلح المدرك الراهن للدخول في هذه الفكرة, والذي يضفي على هذا المدرك المعني أو الدلالة هو طبيعة علاقته بهذه الفكرة, فعلي ضوء الأشياء المألوفة لدنيا نقيس الأشياء التي نراها لأول مرة ونحاول أن نعقد رابطة ما بين ما هو موجود فعلا في خبرتنا وما نحن بصدد معرفته, **وبالتالي إن القدرة على فهم معني مدرك** معين ترتبط ارتباطا وثيقا بالألفة به.

**إعادة تنظيم المجال (الاستبصار Insight)**

**يتضح إعادة تنظيم المجال من خلال الخصائص الوصفية للتعلم بالاستبصار وهي كتالي :**

1. يتوقف التعلم بالاستبصار على قدرة الفرد العقلية وعلى درجة نضجه فكلما كان أكثر ذكاء من غيره, كان أميل إلى استخدام الاستبصار في تعلمه ,ويصبح اقدر على النجاح في أشكال المركبة فالأطفال الكبار أكثر نجاحا من الصغار في حل المشكلات التي تحتاج إلى استبصار.
2. كلما زادت خبرة الفرد زاد احتمال استخدامه للاستبصار في حل المشكلات,مثلا:لا يستطيع الفرد أن يحل مسالة جبر أو معادلة رياضية ما لم يعرف المعنى المصطلح عليه للرموز المستخدمة,حتى وان كانت المشكلة مناسبة لقدرته.
3. تسهل بعض التنظيمات التجريبية الوصول إلى الحل عن طريق الاستبصار أكثر من غيرها , وهناك مجموعتان من العوامل تسهلان تنظيم الموقف,من خلال ما يحدث بين المجوعتين من تفاعل وهي:

الأول : العمليات التي تجري في داخل الكائن الحي.

الثانية: الأنماط التركيبية في البيئة.

**ويمكن أن يحدث الاستبصار في التعلم** إذا أمكن ملاحظة جميع الأجزاء الضرورية لحل المشكلة,فإذا اختفت وسيلة أو أداة أساسية في الحل ,فان المشكلة تصبح أكثر تعقيدا,وقد يستحيل حلها.

ويسهل إدراك العلاقات بين الأجزاء التي تلزم للحل متى ما أمكن رؤيتها معا.

1. أن التعلم عن طريق الاستبصار يحدث عقب فترة من البحث والتنقيب ففي مراحل التعلم الأولي قد يقوم الكائن الحي ببعض تجارب ويفشل فيها قبل أن يتوصل إلى الحل الصحيح,وهذا ما دعا بعض الباحثين إلى القول بان التعلم بالاستبصار لا يختلف في جوهرة عن التعلم بالمحاولة والخطأ, فكلاهما تجريب.

**مع ذلك هناك اختلاف جوهري بينهم** ,ففي الاستبصار يحدث نوع من التعقل يوجه اختيار التجارب حتى ما فشل منها ,هنا تستخدم الطريقة العلمية في التوصل إلى الحل الصحيح.

**فالجشطالطيون لا** ينكرون حدوث التجريب ولكنهم يفرقوا بينه وبين التجريب العشوائي.

1. إن الحلول المبنية على الاستبصار تكرر بسهولة ,اى أن التعلم هنا سريع إذا ما قورن بالتعلم بطريق المحاولة والخطأ.
2. متى حدث التعلم بطريق الاستبصار للمرة الأولى أمكن الكائن استخدام هذا الموقف والانتفاع به في مواقف جديدة.

**تقويم النظرية:**

1. **من حيث المنهج :** الوضع المنهجي العام للجشطلت يعتبر بين الاستبطان ودعاة المثير والاستجابة,وكانت دراساتهم التجريبية تهدف إلى تبيان اثر العوامل الموضوعية على عملية الإدراك,وقد وفقوا في تحديد الكثير من هذه العوامل التي تسيطر على عملية الإدراك.

أما من حيث تمسكهم بضرورة تحليل الخبرة المباشرة,اضعفوا من اتجاههم التجريبي الذي تمسكوا به في دراساتهم لمشاكل الإدراك.

1. القوانين السائدة: ليس من الأنصاف أن نقرر أن نظرية الجشطلت حاولت أن تنمي نظرية في التعلم كما هو الحال عند السلوكيين ,حيث اهتمامها كان منصبا في أساسه على عملية الإدراك.

والقانون الرئيسي لتفسير التعلم هنا هو قانون التنظيم .

1. **الإطار النظري العام:** أول ما يميز الإطار العام للنظرية هو مفهوم المجال نفسه, فالحدث السلوكي لديهم هو محصلة مجموعة قوى موجودة في المجال الذي ظهر فيه هذا الحدث السلوكي,وبالتالي إن الجشطلت استعاضوا عن مفهوم العلية أو السببية بمفهوم المجال والقوى المؤثرة فيه.

وهذا الإطار العام هو الذي جعلهم يهتمون بالسلوك الكتلي,من حيث انه مجموع الأحداث الجارية في الحياة اليومية.

**خلاصة أهم ما يميز النظرية:**

\* تر ى أهمية وحدة الكائن الحي حيث تمثل ثورة على النظرية الجزئية.  
  
\* الإدراك هو إدراك الكليات حيث يسبق الإدراك الجزئي.  
  
\* الجزء ليس له قيمة في ذاته بل يستمد قيمته من الكل.   
  
\* الجشطلت ينظر للفرد على أساس أنه نظام (كل) ينظم نفسه بنفسه.   
  
\* الشخصية عملية ديناميكية أكثر منها مجموعة سمات.   
  
\* الشخصية عملية تخضع للتفاعل المتبادل بين الفرد [دوافع ، ميول ،   
 رغبات] وبين البيئة الاجتماعية والمادية.